

## الاشتراكي ينعي الوريث

## ... مشعل آخر لا ينطفئ

د. عيديروس نصر ناصر

بالرحيل المفاجئ للشاعر والباحث الكبير اسماعيل الوريث يتأكد يوماً إثر آخر أن الأوراق الجميلة لا تقدر على الصمود أكثر في شجرة الحياة. أنها تعطي للآخرين جمالها بشكل سريع ومحدد في الوقت الذي عليها أن تعيشه ومن ثم تفعل رحيلها بهدوء. والرفيق النادر والإنساني اسماعيل الوريث كان واحداً من تلك الأوراق التي عشقت سيرها وفعلها الهام في الحياة بهدوء وصمت. كتب وأنتج وثابر واجتهد وناضل بطريقته ووقف إلى جوار الناس، وعلى وجه الخصوص الضعفاء والمحترجين منهم لمساعدة هنا أو هناك.

استثمر معارفه الواسعة لتمرير مشكلة لهذا وأخرى لذلك حتى من دون معرفة حقيقية بالأشخاص الذين يعمل على مد روح الحياة إليهم. وهذه نقطة فارقة في حياة الناس الذين اعتقدوا أن حياتهم ليست لهم وحدهم بقدر ما هي حق مفتوح وممكن لمشاركة الآخرين.

بهذا المعنى يمكن اعتبار أن الشاعر الكبير اسماعيل الوريث قد استطاع أن يخلق من حياته أكثر من حياة وأن يقوم بتفريغها على أكثر من مستوى وسياق. في اهتمامه بالإنتاج الأدبي والشعري والفكري الشخصي الذي كان يقوم به، بالبحث العلمي الذي كان يشغله في مركز الدراسات والبحوث، بالدور العظيم الذي فعله أثناء وبعد تأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، مساعدته ووقوفه إلى جوار الأدباء الشباب، وكل هذا وأكثر مما كان الفقيد الكبير لا يحب الحديث عنه بل يفضل عمله بصمت وهدوء من دون حاجته للإعلان ورفع الصوت لكن يبدو أنه هذا من حقه اليوم علينا ومن حق الآخرين أن يعرفوا.

إن الأمانة العامة للحزب الاشتراكي اليمني وهي تنعي هذا الرفيق الإنساني الشفاف إنما تعلن أن شجرة النبل والصفاء والصدقة والأخوة قد نقصت ورقة فريدة منها. إن لوحة الشرف اليمنية التي تظهر عليها وجوه كثيرة نبيلة وصادقة وزينة قد نقصت اليوم وجه اسماعيل الوريث. إن أحرف الشعر والكتابة البديعة والصدقة النبيلة قد نقصت حرفاً كبيراً اسمه اسماعيل الوريث.

ونحن في الأمانة العامة سوف نكون الأكثر شعوراً بهذا الفقد ولو حتى من باب النشر الدائم والمنتظم الذي كان يفعله الفقيد على صفحات جريدة «الثوري» التي كانت له بمثابة الساحة التي كان يخصها بنشر جديده الشعري. ولد الفقيد اسماعيل الوريث عام ١٩٥٢ في مدينة ذمار. حاصل على ليسانس أداب في اللغة العربية، وعلى دبلوم إعلامي عال من جامعة صنعاء. عمل موظفاً بوزارة الإدارة المحلية، وإذاعة صنعاء، ومديراً عاماً للثقافة بوزارة الإعلام، ومديراً عاماً للفنون بوزارة الإعلام والثقافة، ومديراً عاماً لمكتب الإعلام بدمار، ومديراً عاماً للتوثيق والمكتبات بمركز الدراسات والبحوث اليمني، ونائباً لرئيس المركز، ثم باحثاً بالدائرة الأدبية واللغوية بالمركز. شغل منصب عضو المجلس التنفيذي لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

كتب الشعر في سن الطفولة، قبل العاشرة. كان له عمود أسبوعي منتظم في صحيفة (الثوري) ثم عاد يكتب فيها من وقت لآخر بحسب جديده الإبداعي، كما كتب في مجلة المركز الفصلية، ومجلات الحكمة، واليمن الجديد، وغيرهما.

ومن بعض دواوينه الشعرية: الحضور في أبجدية الدم ١٩٨٤. ليلة باردة ١٩٨٦ - مرثاة عدو الشمس ١٩٨٧ - عذابات يوسف بن محمود ١٩٩٨.

ونكرر هنا الشعور العظيم الذي يلغنا برحيل هذا القامة الأدبية وكل ما نتمناه هو أن نرى حرص اتحاد الأدباء والكتاب ووزارة الثقافة والهيئة العامة للكتاب بإعادة إصدار ما قام الفقيد بطابعته أثناء حياته ولم يعد موجوداً في المكتبات وكذا طباعة الأعمال التي لم يقدر على طباعتها. وهذا أقل ما يمكن فعله لشخصية أدبية لم تبخل ولم تدخر ولم تتكاسل عن فعل الكثير من أجل اليمن. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الامانة العامة للحزب الاشتراكي اليمني  
١ سبتمبر ٢٠١٣



كان خبر وفاة الأديب والشاعر والناقد والكاآب الإعلامي الأستاذ اسماعيل الوريث صاعقاً للكثير من المنشغلين بالحراك الثقافي في اليمن ومنهم كاتب هذه السطور، فرغم أن الرجل توارى لبعض الوقت عن الأضواء ليدع مجالاً لغيره إلا أنه كان ما يزال يتمتع بقدرات كبيرة على العطاء والإبداع والنقد والتنوير، وكانت قصائده وكتاباتة النقدية وأعمدته الصحفية ما تزال تقرأ برغبة واستحسان ككل مبدع في هذه الأرض، على الصحف السيارة والإلكترونية، كما لم يسمع أحد عن تعرضه لوعكة مرضية أو معاناته من أي متاعب صحية باستثناء داء السكر الذي صار «الصديق الدلود» لكل حامل قلم وصاحب كلمة ومعتقد فكرة في بلادنا وفي غيرها من البلدان، لكنه الموت الذي لا يميز بين الصغار والكبار ولا بين الأغنياء والفقراء، كما لا يحدد موعداً لمجيئه بل إنه يختار هدفه فيأتيه دونما سابق إنذار، فرحمة الله الواسعة تتغمد روح الفقيد المبدع اسماعيل الوريث، ولنا في كنزه الثقافي وراثته الإبداعي وقيمه الأخلاقية الرفيعة خير عزاء، فقد ترك من الآثار ما يجعله خالداً مدى الأزمان في وجدان عشاق الكلمة ومغرمي القصيدة وأصدقاء الصورة الشعرية والكلمة الطيبة.

تعرفت على الأستاذ اسماعيل الوريث في العام ١٩٩٧ خلال

التحضير لأعمال المؤتمر الرابع لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، فقد كنت ضمن الموفدين من أبين كمنسوب إلى المؤتمر وكناآب رئيس فرع أبين آنذاك، وقد نشأت بيننا صداقة لا يمكن أن أصفها إلا بأنها من ذلك النوع النقي والعميق القائم على الإيمان بفكرة مشتركة والاعتقاد بقضية مشتركة لا تتأثر بعوامل التعرية الزمانية والمكانية ولا تخضع لحسابات الربح والخسارة، كنت حينها حديث التحرج مثل كل الحاصلين على الدكتوراه حديثاً أبحث عن عمل في صنعاء، وكان الرجل أميناً عاماً لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وكان في رئاسة الاتحاد المرحوم يوسف الشحاري وبعد المؤتمر خلف الأستاذ الشحاري الأستاذ أحمد قاسم دماج، وقد شكل الثلاثة هامات أدبية وفكرية قل نظيرها، وأجمل ما جمع بينها البساطة والصدق والنقاء والإيمان بقضايا كبرى عابرة للأحزاب والتكتلات والمؤسسات وأحياناً الأوطان، وقد تشرفت بأن جلست مع ثلاثتهم معاً وعلى أفراد فكان الرئيسان والأمين العام هامات أدبية ووطنية أشك بأن يجود الزمن الآتي بمثلها بعد ما شهدنا من القيادات التي تبوأَت على رأس الاتحاد وأوصلته إلى ما وصل إليه من الانحدار والتهاوي.

عندما تعرفت على الفقيد كنت أبحث عن عمل في صنعاء بعد أن

أغلقت في وجهي كل الأبواب في أبين وعدن، بعد حصولي على الدكتوراه وكان مقر اتحاد الأدباء الكائن في شارع الرقاص المتفرع من شارع هائل، هو مزارنا اليومي في الفترة الفاصلة بين المواعيد البيروقراطية المتباعدة أصلاً مع الوزارات والإدارات والهيئات التي اعتقدنا أنها لكل اليمنيين... المواعيد التي لم ينجز منها شيء يذكر كثمرة للمتابعات المتواصلة لمدة شهور، كان الاتحاد هو مقر لقاءاتنا بالزملاء والأصدقاء المثقفين صباحاً، وموئلاً للفعاليات الأدبية والثقافية مساءً، كما كان منزل المفكر والكاآب الأستاذ قادري أحمد حيدر هو مقيلنا اليومي قبل أن نقلع عن القات، قادري وأنا.

كنت ذات يوم قد وصلت مبكراً إلى مقر الاتحاد وكان الأستاذ اسماعيل قد عاد لثوّه من اجتماع المجلس التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب الذي انعقد في مدينة بيروت، سلم علينا وسأل عن أحوال الموجودين وهنأناه بسلامة السفر ودردشنا سريعاً عن اجتماع الكتاب العرب وعن لبنان وما فيها وما جاءنا به منها، ثم استدعى صراف الاتحاد، وسلمه ثمانين ألف ريال يمني، وعندما سأله الصراف ما هذا قال له ثمن التذكرة التي مفروض أستخدمها، ثم أريد لقد لاقيت تذكرة من رئيس الوزراء ولذلك أرجو إيراد المبلغ إلى خزانة الاتحاد وإعطائي سند إيراد.

تذكرت هذه الحادثة وهي ليست الوحيدة التي تدل على نظافة يد الرجل وخصومته الأدبية مع الفساد، تذكرتها عندما أجري مقارنة مع الآلاف ممن أعرفهم الذين يتقاضى بعضهم مكافأة ثلاث أو أربع مرات على فعالية لم تنفذ، ثم يتباكون بأن المكافأة أقل مما يستحقون.

كان اسماعيل الوريث دمث الخلق، طبيب المعشر عفيف النفس مهذباً قوي الحضور حيثما حل، كان حضوره الفعاليات الأدبية والثقافية، والمؤتمرات والمنتديات يضيف عليها نكهة خاصة تجعل بصماته فيها شديدة الوضوح، وقد ظل اسمه يلعب في سماء الأدب والشعر والنقد والفكر حتى بعد مغادرته موقع الأمين العام لاتحاد الأدباء الذي شغله لثلاث مرات متتالية وتنازل عنه طوعاً ليحل محله الأديب والشاعر الرائع المرحوم محمد حسين هيثم، رحمة الله عليهما.

غياب اسماعيل الوريث يغيب عنا شمعة إضافية من شموع الأدب والفكر المتحيز إلى الفقراء والمنتهمين إلى المشروع النهضوي في اليمن، وينقص اسماً من قائمة النزاهة والاستقامة والصدق وصفاء النفس ونقاء الضمير ونزاهة الخلق واستقامة السلوك وعفاف النفس، لكن هذا الغياب الجسدي لا يمكن أن يغيب صاحبه عن ذاكرة الأحباب والأصدقاء الذين تعرفوا على هذا الشخص وقرأوا كتاباته المملوءة بالشاعرية والجمالية والإبداع الراقي.